الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس الموسومة بـ:

أثر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا

" قصيدة الذبيح الصاعد أنموذجا"

إعداد الطالبتين:

– علو سهام

– حشمان حسنية

الأستاذ المشـــــرف:

د. دين العربي

السنـة الجامعيـة

2017 – 2018 م/ 1438– 1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

أولا: أشكر المولى عز وجل اذي رزقني العقل و حسن التوكل عليه، سبحانه وتعالى، وعلى نعمه الكثيرة التي رزقنا إياها، فالحمد لله والشكر لله.

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا

وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا.

إلى من علمونا حروفا من ذهب، وكلمات من درر

إلى كل أساتذتنا الكرام في كلية الأدب واللغات والفنون ونخص بالذكر الأستاذ المشرف: دين العربي الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة.

ولا ننسى كذلك رئيس قسم كلية الآداب زروقي معمر

والأستاذ المحترم تامي مجاهد

الأخ الفاضل شريفي مخطار

شكرا لكم جميعا

إهداء

أهدي ثمرة نجاحي:

– إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار...

أرجوا من الله أن يطيل عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار

أبي الغالي

– إلى ينبوع الحنان الذي لا ينضب إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله

إلى سندي وقوتي وملاذي أمي الغالية

– إلى وحيد العائلة ورفيق دربي في هذه الحياة أخي الغالي

– إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي: إخوتي أسماء– شيماء

– إلى براعم العائلة: صفاء–مروة.

– إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي صديقاتي: أحلام – زينب نور الهدى–دنيا–إكرام حسنية ،أمينة.

– إلى كبير العائلة جدي العزيز: عمر

– إلى كل خالاتي وعماتي: باستثناء الغاليتين: تركية وكريمة

– إلى كل أساتذتي الكرام، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل: دين العربي

– إلى من لم أعرفهم... ولم يعرفوني

– إلى من أتمنى أن أذكرهم... إذا ذكروني

– إلى من أتمنى أن تبقى صورهم... في عيوني سيقف قلمي هنا برهة ليستقر بين أنظاركم ما كتبت، لعل هذه المفردات تكون خير معينة حتى تتذكروني يوما ما، محبتكم.

سهام

إهداء

بسم الله الذي لا شيء أعظم من أن أحمده وأشكره حمدا وشكرا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقي طوال مشواري الدراسي الذي أثمر هاته المذكرة والتي أخص بإهدائها:

- إلى من احتوتني جنينا، وسهرت لأجلي سنينا، إلى أجمل مناداة في الوجود... أمي العزيزة
- إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل علي بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح، والذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر... أبي العزيز
- إلى براعم العائلة:اسمهان ، معاذ
- إلى إخوتي وأخواتي
- إلى حبيبتي ورفيقة دربي زويدي رجاء
- إلى جدتي حليمة و حليمة
- وإلى من تحملت معي أعباء هذه المذكرة علو سهام
- إلى أستاذي الفاضل: دين العربي
- إلى كل من حملهم قلبي ولم ينصفهم قلمي

حسنية

مدخل

اللهم إنا نحمدك، ونستعينك، ونستغفرك، نستهديك، ونؤمن بك، ونتوكل عليك، نثني عليك الخير كله، نشكرك لا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك.

وصلى الله على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والمصطفين، ليكونوا أئمة في الدين، وفي اللسان العربي المبين وبعد:

* لم يكن الشعر العربي في الجزائر بدعا من صنو [1] في العالم العربي مشرقا ومغربا، فكان ينحط إذا انحط، ويرقى إذا رقي، بحسب ما كانت عليه حاله آنذاك، فإذا كان القرن التاسع عشر على امتداده الطويل لم يكد يعرف إلا شاعرا فحلا في الجزائر وهو "الأمير عبد القادر" فإن مطل القرن العشرين بدأت تنسي بوجود مجموعة من الشعراء، لعل من أهمهم: عمر بن قدور الجوائري-سعد الدين الخمار-الطاهر بن عبد السلام-عبد الحليم بن سماية... وغيرهم وغيرهم.

فلعل هؤلاء هم أهم من نشروا شعرا جيدا أو مقبولا على الأقل في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين، وذلك قبل قيام النهضة اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى التي بدأت ملامحها تتشكل منذ أواخر العقد الأول من هذا القرن.

[1] عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2006، ص 12.

ولعل الذي كان له الفضل في تسجيل بعض الحركة الشعرية البسيطة على كل حال وتخليدها في صفحات التاريخ، جريدتان اثنتان: "الفاروق" التي تأسست سنة 1913 وتحولت بعد الحرب العالمية الأولى إلى مجلة لا نعرف عنها شيئا كثيرا، فهي لم تعمر إلا قليلا وجريدة "الإقدام" التي تأسست سنة 1919، ففي هاتين الجريدتين الوطنيتين عرفت الأشعار الجزائرية في السنين الخمس الأولى من القرن العشرين، فحتى الأشعار التي نشرت فيما بعد في كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" كان بعضها قد نشر في جريدة "الإقدام" مثلا...

والحق أن الذين تحدثوا عن هذه الفترة من الكتاب ومؤرخي الأدب الجزائريين لم يتحدثوا عنها إلا بشح شديد، وبسوء واضطراب في الإحالة والتوثيق، أو السكوت عن الإحالة والمصادر التي استقوا منها مما يبرهن على وجود نقص مزر في المعلومات والنصوص معا، فقد تحدث عن هذه الفترة : أبو القاسم سعد الله-محمد الطمار-صالح خرفي-عبد الله الركيبي و عبد الملك مرتاض.

فمن هؤلاء جميعا من جاهد ليقدم دراسة على نحو ما، وقد كان مفدي زكريا من بين الشعراء الذين دافعوا عن وطنهم بالوقوف أمام العدو الذي حاول مسح وطمس الشخصية الجزائرية وفرض اللغة الفرنسية، فعاش الشعب الجزائري أثناء الاحتلال في فقر وحرمان وعانى من ويلات الاضطهاد والظلم.

إن الثورة المشتعلة كانت في حاجة إلى صوت يرفع شعاراتها ويدعوا إلى الالتفاف حولها وتهيئة الجو المناسب لاستمرارها واتساعها، فيصرح لنا الشاعر مفدي زكريا في ديوانها "اللهب المقدس" قائلا: لم أكن في "اللهب المقدس" بالغت في عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطلوبة قد لا يجد عشاق ما يسمونه بالشعر الجديد في اللهب المقدس ما يشبع غرائزهم المشوية في جحيم النهوض ، ولكن سيجد الناس في الشعراء صلة رحم وثقة بأمجادهم وتجاوبا صادقا مع مشاعر العروبة الزاحفة في كل بلاد عربي وعسى أن أكون بهذا قد أرضيت ضميري وثورة بلادي وعروبتي.

لكل ثورة أو حركة تحرير شعراؤها الذي يمثلون ضمير شعبها ويصورون ما يخالج صدور هذا الشعب من آمال وما يعانيه من آلام وينتصرون في قصائدهم، وأناشيدهم في الثورة فيمجدون رجالها، ويخلدون شهدائها، ولذلك فإن تلك الأوضاع القاسية بالثورة الجزائرية الكبرى قد كانت محور ومصدر روح وإلهام ودعوة ملحة إلى بث النضال والمقاومة، فتفجرت بذلك عواطف ومشاعر المفكرين والأدباء، وبخاصة الشعراء، حيث نظموا أشعار ثورية واضعين فيها آلام وآمال شعب مستعمر، فقد فتحت الثورة أمام الشعراء آفاق واسعة وإذا خولت لهم الانطلاق من قيود التخلف والجمود ويقول فقد كان انتاج الشعر الجزائري أثناء وقبل الثورة المسلحة نضال مقاوم للوجود الفرنسي.

وكان الشعر الجزائري موعده المحترم مع الثورة، فنحن ظلال شجرتها المعطاءة، وفوق التربة التي حزنت بحد السلاح وعنف الكفاح، وهذا الأدب ازدهر قبل حلول الربيع متبنيا بكل جوارحه وقرائحه قضية الجزائر العادلة بكل مداها وعملها وبجميع دلالاتها وأبعادها، فعاش وعايش عن كثب قسم كبير من هذا الأدب الكادح الذي أوقد لهيبها المتأجج والوهاج، ورفع عاليا مشعلها المنير الوضاء، فتصدى الشعراء باختلاف ألسنتهم ومشاريعهم للتعبير عن الثورة وتصوير بطولاتها وملاحمها وترصد أحداثها ووقائعها ومواقفها وتجسد شهامتها وانسانيتها بتعبيرات فنية بين الانفعال والحماس والتفاعل .

ثم إن الثورة الجزائرية العظيمة قد ألهبت نفوس أبناء الشعب العربي من المحيط إلى الخليج وجعلت من كل عربي شاعر يغني أمجادها إنها بحق ملحمة الشعب العربي في تاريخه الحديث.

هؤلاء الأدباء أدركوا منذ البداية أن لهم رسالة مقدسة يحملونها بأمانة وإجلال نحو وطنهم الغالي لا تقل أهمية وخطورة عن سلاح الجندي.

ولهذا فقد كان الشاعر مفدي زكريا، من أكثر الشعراء المهتمين بالقضية الجزائرية متأثرا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهذا ما كان عنوانا لبحثنا.

إلا أنه من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو:

قلة الاهتمام بهذه المواضيع وجعلها مهمشة، مما يرى البعض أنها أصبحت من الماضي، فقد حاولنا تسليط الضوء على هذا الموضوع أما الدافع الثاني فهي قضية الحديث الشريف وأثره في شعر مفدي زكريا مما صنف في مجال الثورة الجزائرية، وهي قضية تخص كل فرد ينتمي إلى الوطن العربي والأمة الإسلامية.

كما استفدنا من دراستنا هذه من مؤلفين: د.بلقاسم بن عبد الله دراسات في الأدب والثورة واللهب المقدس لمفدي زكريا.

وهما الكتابان القديمان اللذان يتحدثان عن الثورة الجزائرية في شعر مفدي زكريا ومدى تأثره بالقرآن الكريم.كما لا ننكر فضل الكتب الأخرى، أو المراجع الأخرى، كل هذا دفعنا إلى اختيار المنهج الوصفي التحليلي، وفي الأخير قد اخترنا قصيدة الذبيح الصاعد كأنموذج.

ومن الصعوبات التي واجهتنا: قلة المصادر والمراجع التي تهتم بدراسة أثر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا

ولأن بحثنا لم يلم بجميع جوانب الموضوع، فلذلك نحتاج إلى بحث موسع يجمع أكبر قصيدة تناولت مواضيع عديدة حول أثر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا، وفي هذا الصدد واجهنا مجموعة من التساؤلات، ألا وهي: ما هي مظاهر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا؟ وأين تجلى ذلك؟

وقد رسمنا خطة لبحثنا وهي كالتالي:

مدخل-وثلاثة فصول-.

خاتمة

المطلب الأول: مولده ونشأته:

اسمه الحقيقي "زكريا بن سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج صالح سليمان " ولقبه الشيخ أو"آل شيخ " عن حياة جده "الحاج سليمان " ولهذا لقبت العائلة لقب آل شيخ، فقد كان أحد شيوخ مدينة بني يزقن يترأس الاتحاد الميزابي ، ففي حضن العائلة الماجدة اشتهر زكريا باسمه المعروف مفدي زكريا[1] وهناك أسماء مستعارة ولقبه أحد زملاء البعثة الميزابية ب**مفدي** وأصبح يعرف به وقد ولد يوم الجمعة **12** جمادى الأولى **1326**هـ والموافق ل **12** جوان **1908**م ببلدية بني **يزقن** بمنطقة بني ميزاب أو مايعرف حاليا بولاية **غرداية**[2] .

كان مفدي زكريا أنيقا جدا بحيث لاتراه إلا وهو يرتدي بذلة أوروبية فاخرة بربطة عنق وقميص يتماوجان معها في اللون.[1]

وتنحدر أسرته من بني **رستم** الذين أسسوا مدينة **تيهرت** في القرن الثاني من الهجرة تيارت حالي.[4]

---

[1]. يحيا الطاهر، تأملات في الياذة الجزائر لمفدي زكريا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ط1 ، 1989 ، ص38

[2] مفدي زكريا ، شاعر مجد الثورة ، حوارات وذكريات ، بلقاسم بن عبد الله الطبعة االثالثة ، الجزائر ، 2003 ، ص 13

[3] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر واالتوزيع ، الجزائر 2007 ، ص 432.

[4] محمد العيد آل خليفة ،المعجم الشعري عند شعراء الثورة الجزائرية ، دراسة معجمية دلالية ، ص 29

بدأ مفدي زكريا مساره في مسقط رأسه متعلما من كتاب البلدة حيث حفظ جزءا من القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والفقه ثم اصطحبه والده وهو ابن سبع سنين الى مدينة عنابة شمال شرق الجزائر التي كان تاجرا بها ، وفيها أتم حفظ القرآن ثم جعل يتردد بينها وبين مسقط رأسه ولم تنتظم دراسته حتى سنة **1922** م ، اذ قرر والده ارساله الى تونس ضمن البعثة التعليمية الميزابية ليتابع دراسته فالتحق بمدرسة السلام القرآنية مدة سنتين ، نال خلالهما شهادة ابتدائية في اللغة العربية ومبادئ في اللغة الفرنسية وبعدها انتقل الى المدرسة الخلدونية حيث درس مواد علمية كالحساب والجبر والهندسة والجغرافيا[1].

وعندما تحول الى جامع الزيتونية انكب على الدراسة والتحصيل والمطالعة المستمرة وحضور مسامرات الأديب التونسي العربي الكبادي كما ارتبط بصداقة حميمة متينة مع الشاعر الجزائري "رمضان حمود " وكذلك مع الشاعر التونسي المعروف "أبو القاسم الشابي " ونظرا لذكائه وشاعريته ولطف احساسه لقبه أستاذه " الحطاب بوشناق " لقب مفدي[2]

أعجب زكريا بهذا الاسم لأنه وجد فيه ما يرضي طموحه الأدبي والوطني تعبيرا عن ذلك في مطلع نشيد "حزب الشعب فداء الجزائر روحي ومالي " وفي قوله سنة **1935** وطني بروحي أفديتك ومهجتي وحمي الشريف مبرة ووفاء ".[2]

---

[1] . مفدي زكرياء، شاعر النضال والثورة " دراسة ونصوص "، محمد ناضر ، جمعية التراث " العطف " غرداية ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، ص 8-9

[2] . مفدي زكريا شاعر مجد الثورة ، حوارات وذكريات ، بلقاسم بن عبد الله ، الجزائر ، الطبعة الثالثة ، ص 14- 15

وبعد ذلك أصبح مفدي يكتب الشعر معتمدا على مواهبه وميوله وجده لاجتهادهِ[1]

وفي هذا الصدد يقول:

"وأما الشاعر فأنا فيه أستاذ نفسي ، غير أني أعرض بضاعتي اساتذتي رؤساء البعثة الميزابية الزحافات والعلل والدوائر ولي اطلاع شخصي على العروض والموازين ولقد شفعت حبا بالآداب طفلا وبتاريخ الأبطال من عظماء الأوطان.

ان السنوات الدراسية الخمسة التي قضاها بتونس " **1922-1962** " هي التي كونته هذا التكوين الأصيل ووجهت حياته هذا التوجيه الأدبي والسياسي ، وجعلته يتفوق عن باقي شعراء الثورة الجزائرية ، وهذا ما كان بارزا من خلال كتاباته ومؤلفاته ودواوينه لاسيما ديوان " اللهب المقدس " الذي يحتوي على **54** قصيدة ثورية بتصرف[2].

وفاته:

وافته المنية اثر سكتة قلبية يوم الأربعاء **02 رمضان 1397** هـ الموافق ل **17** اوت **1977** م وعمره لايتجاوز السبعين عاما ، نقل جثمانه الى الجزائر دفن بمسقط رأسه بغرداية أعتبر من أعظم شعراء الثورة الجزائرية.

فاكتسب روحا وطنية الى جانب تدينه الشديد وأخلاقه العالية وكان مفدي زكريا كثير المطالعة في كل المجالات إلا انه شديد الولع بدراسة حياة الأبطال وعظماء الأمم فتأثر كثيرا

[1] . المرجع نفسه، ص162.

[2]. مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة ، محمد ناصر ، ص 10

بسيرة الزعيم الوطني المصري "مصطفى كامل " الذي قاد النضال ضد الاستعمار البريطاني وهو شاب لايتجاوز العشرين من عمره والذي توفي في الرابعة والثلاثين من عمره.

وقد قرأ مفدي زكريا عدة مرات كتابا عنه بعنوان "مصطفى كامل " **34** ربيعا فأخذ الشاب مفدي زكريا عن هذا البطل الإسلامي الكبير مبدأ أعظم الفصل بين الوطنية والدين.

أحب مفدي زكريا الصحافة فأشرف على مجلة حائطية في المدرسة تسمى " الوفاق" كان يكتب مقالاتها ويخططها بيده ويوزعها بنفسه فكان طاقة لاتنفذ منذ صغره يتميز بالصبر والثبات والاستمرارية في العمل دون انقطاع والإيمان العميق بالوطن والدين.[1]

[1] . المرجع نفسه، ص162.

المطلب الثاني : تعلمه:

التحق مفدي زكريا بالكتاب لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الاسلامي ولما بلغ السابعة من عمره انتقل الى مدينة **عنابة** للالتحاق بأبيه الذي كان يمارس التجارة هناك فدخل المدرسة الابتدائية عام **1924** انتقل الى تونس مع البعثة العلمية الميزابية لتلقي العلوم الدينية والدنيوية ، هناك فدرس بمدرسة السلام القرآنية لمدة سنتين فأتقن جيدا اللغتين العربية والفرنسية كما اطلع على العلوم الحديثة وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، انتقل الى المدرسة الخلدونية الحديثة فدرس الحساب والهندسة والجبر والجغرافيا والتاريخ ليلتحق بعدها بجامع الزيتونية أين تعمق في علوم الدين.

وعندما كان في تونس أقام في بيت عمه "صالح بن يحي " أحد كبار المناضلين ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وأحد مؤسسي الحزب الدستوري التونسي الذي قاد الجهاد ضد الاستعمار وبحكم اقامته في بيت عمه تعرف على زعماء كبراء وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي.[1]

وكان الشاب مفدي زكريا يتابع أحاديث هؤلاء الزعماء حول هموم العالم الاسلامي والأخطار المحدقة به ومنذ تلك الفترة عقد مفدي زكريا العزم على الجهاد ضد الإستعمار والجهل والتخلف.

[1] . البشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1989) ، دار المعرفة ، ص 161-162

المطلب الثالث: روافد ثقافة مفدي زكريا :

كان الشاعر مفدي زكريا من أهم الشخصيات التي برزت في الساحة الأدبية والثقافية التي ناضلت بأقلامها وبكلماتها تأثر بحركة الاصلاح التي ترأسها جمعية العلماء المسلمين كما أنه برز من خلال تحريره لعدة جرائد ونشرت له عدة أعمال تجلى نشاطه الأدبي والثقافي فيما يلي :

1/-نشر عدة قصائد في جرائد تونسية منها "بردة الوطنية الجزائرية " بصحيفة الشباب التونسية وتتضمن **43** بيتا.[1]

2 /-ترأس تحرير جريدة حزب الشعب الناطقة باللغة العربية ، جاءت تحت " اسم الشعب".

3/-"في غيابه سجن الحراش بالعاصمة الجزائرية أنشأ المناضلون جريدة البرلمان الجزائري الأسبوعية وكان مديرها "أحمد بوذة " ولرئيس تحريرها مفدي زكريا.

4/-أشعل الحماس في الشعب الجزائري بشعره ، مما زادهم قوة في الكفاح والعزم والشجاعة في التخلص من الاستعمار .

5/-استطاع من خلال شعره ومقالاته الصحفية ان يؤثر في الشعب الجزائري ، فقد حاول أن"يحارب بشعره ومقالاته الجهل بكل أنواعه ودعا الى العلم بمفهومه الواسع كالتكنولوجيا

[1] . مفدي زكريا ، تحت ظلال الزيتون ، ص 8

واستخدام أسرار الطبيعة وقوانينها وتطويعها لخدمة الإنسان وكان يرى بأن العلم يجب أن يرتبط بالأخلاق العالية[1]

6/–كتب أشعاره باللغة العربية الفصحى ،كما أنه قدم بعضها باللغة العامية والشعبية قال في هذا الصدد:"ومن أعماق بربروس والحراش والبرواقية أرسلت ملاحمي الثورية بالفصحى والشعبي تتخطى الأفاق وتوقع خطوات ثوراتنا الأبرار في أعالي جبالنا الماردة العملاقة"[2]

7/–"أسهم في النهضة الفكرية بتونس من أيام الدراسة الى اليوم بمحاضرات ومقالات صحفية وأحاديث اذاعية".[3]

ومن خلال هذا يتضح لنا أن روافد مفدي زكريا الثقافية ، لم تتوقف الى هذا الحد فقط وإنما تجاوزت ذلك في أكثر من مجال ، ومنها ماهو أدبي وماهو سياسي ففي الأدب نجد أنه قد اهتم بالصحافة حتى في مجال النثر.

وقد كان هدفه من كل هذا هو مواجهة الاستعمار الفرنسي والقضاء على نفوذه والدعوة الى ضرورة مكافحته.

ولهذا نجد أن روافد ثقافة مفدي زكريا تتمثل في مجموعة من المصادر منها:

أ-**القرآن الكريم** :

---

1. سارة حسين الجابري ، أعذب قصائد مفدي زكريا ، نشر وتوزيع اصدارات العوادي ن 2014

2. بلقاسم بن عبدالله،مفدي زكريا شاعر مجد الثورة،ص20.

3. مفدي زكريا، تحت ظلال الزيتون،ص 08.

فالمصدر الأول للتراث في شعر مفدي زكريا هو القرآن الكريم فقد كان مداوما على حفظ القرآن الكريم ومتأثرا به ومن اكثر الروافد صبا في شعره وكان هذا واضحا في لغته الشعرية ، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة الذبيح الصاعد :

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهاذى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر كالملائك اوكالظ فل يستقبل الصباح الجديد[1]

ب–الأدب العربي :

فهو المصدر الثاني عند مفدي زكرياء ، وتمثل في شعره ونثره فهو مطلع على دواوين الشعراء العرب والقصص والمثال والحكم والتاريخ ، وهي تعتبر من أهم الروافد التي تصنع ثقافة الشاعر "فالشعر لسان هذا الانسان الصادق الذي يترجم نبضات قلبه بحروف متوهجة مدادها يسري في عروق الحياة" [2]

ومن القصائد المشهورة التي تأثر بها مفدي زكرياء قصيدة ابي تمام والتي مطلعها "السيف أصدق أنباءا من الكتب " ولم يستطع اخفاء اعجابه بها مما جعله يقلدها وذلك حين يمجد الثورة الجزائرية ويحييها في قوله:

السيف اصدق لهجة من أحرف كتبت،فكان بيانها الابهام

والنار أصدق حجة فاكتب بها ماشئت ،تصعق عنها الأحلام

ان الصحائف للصفائح امرها والحبر حرب ، والكلام كلام

---

[1] مفدي زكريا ،اللهب المقدس،ص09.

[2] إبراهيم رماني،أوراق في النقد الأدبي،دار الشهاب للطباعة و النشر،باتنة،الجزائر،ط1،1985،ص 42

فالتأثر واضح جدا ببائية الشاعر أبي تمام ، لأنه افتتن بجمالها وحسن صياغتها فراح يسوق لهجة وحجه المحسنات البديعية خاصة الجناس في قوله : الصحائف للصفائح

أما بالنسبة للقصيدة التي ألقاها باسم الجزائر في مهرجان الشعر بدمشق يوم **23 سبتمبر 1961** بعنوان (رسالة الشعر في الدنيا مقدسة) فقد بدأ تأثره "بنونية ابن زيدون " التي ذاع صيتها واضحا في الآفاق ، فقد صال وجال فيها ، حيث يقول :

سل العروبة هل ضجت لشكوانا ؟ وسل أمية هل رجت لبلوانا

ويا ذرى الشام هل هاجت مواجدنا ؟ فبارك الشعر في ناديك لقيانا؟

ويا دمشق هل ابتلت جوانحنا ؟ بعد التنائي ، الذي قد كان أضنانا؟

والى جانب هذا كله نجد الشاعر مفدي زكرياء يعمد اللى الاقتباس حينا ، والى التضمين حينا أخر وهو يقتفي أثر الشعراء السابقين والمعاصرين له.

وبهذا فقد تعددت قصائد مفدي التي استدعت نصوصا غائبة ، وحولتها الى خيوط في نسيجها ، بحيث بات النص المستدعي والنص الغير مستدعي نصا واحدا متلاحمة أجزاؤه ، والمتكاملة تراكيبه ، والمتشابكة عباراته [1]

ج/-التاريخ :

وهو المصدر الثالث الذي أفاد منه شاعرنا مفدي زكرياء ، ولاسيما التاريخ الاسلامي ، حيث أن الشاعر قد برع في الغوص في أعماق هذا التاريخ وأنطق شخصياته ،

[1] عزالدين إسماعيل،الشعر العربي المعاصر ،قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية،دار العوردة،بيروت،لبنان ،ط3،1981،ص311.

وحـرك حوادثـه ، بحيـث اصـبح شـعره ينـبض بالحيـاة ، وقـد تميـز مفـدي عـن بقيـة الشـعراء الجزائريين في هذا التصوير الذي عرفه من التاريخ الاسلامي العربي[1]

وعلـى العمـوم اذا وقفنـا وقفـة تصـور نجـد أن المتصـفح لتـاريخ مفـدي زكـرياء الثقـافي يتبـين لـه مـدى اسـتفادة الشـاعر مـن القـرآن الكـريم وإعجـازه وتأثـره بالأحاديـث النبويـة الشـريفة ، وكذلك الأدب العربي وشعرائه والتاريخ العربي الاسلامي.

حيـث يقـف علـى المنـابع والأصـول الـتي كانـت تنمـي ثقافتـه الفكريـة والأدبيـة والشـعرية وكيـف أنـه قـد تميـز عـن باقـي الشـعراء في صـدقه مـع نفسـه وكـذلك صـدقه مـع أبنـاء شـعبه وتاريخـه ودينـه الاسلامي

[1] مفدي زكريا،اللهب المقدس،ص 263.

المطلب الأول:

خصائص شعر مفدي زكريا:

ان أبرز السمات البارزة في شعر زكريا هي الصدق الشعري وأثر المعاناة الشعورية فيه ، السجون والتعذيب ، محنة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال. ويمكن الاشارة الى خصائص شعر زكريا في النقاط التالية:

1/-أنه شعر أصيل

2/- شعر صادق لأنه نابع من تجربة شعورية ومعاناة قاسية.

3/- مستمد من التراث الإسلامي ، مشبع بقيمه ومثله متأثر بعظمانه وتاريخه.

4/- رائع في رسم الصور الشعرية الحية المؤثرة

5 /- بارع في الاقتباس والتضمين ، سواء المفردات أم الأحداث ، من القرآن أم من التاريخ

فالشاعر مفدي زكريا صاحب نزعة ثورية وطنية وأسلوبه فصبح سلس واضح ألفاظه وعباراته ذات جرس رنان ومؤثر، يستعين بالبيان بالقدر الذي يوضح الفكرة ويبرز العاطفة.

لا يحفل كثيرا بالمحسنات البديعية إلا ما جاء منها بشكل عفوي.

متشبع بالثقافة الاسلامية والشعر العربي القديم. [1]

[1] أبو هلال العسكري، الكتابة و الشعر،دار الفكر العربي،ط2،82.

المطلب الثاني : شعر مفدي زكريا الثوري:

لا يخفى على أي قارئ لأشعار "مفدي زكريا " أن لايلاحظ ظاهرة فريدة مميزة لإشعاره ، ألا وهي ظاهرة الثورة والتحمس لها ، فقلما تخلو قصيدة من قصائد ديوانه "اللهب المقدس " من هذه الظاهرة ، وقد صرح هو نفسه بهذه الحقيقة في مقدمة ديوانه(ص:04) عندما قال : "اللهب المقدس هو ديوان الثورة الجزائرية بواقعها الصريح. وبطولاتها الأسطورية وأحداثها الصارخة وهو شاشة تلفزيون تبرز إرادة شعب استجاب له القدر"

فالمتصفح لديوان مفدي زكريا لا تغيب عنه هذه الحقيقة ، فهو كله ثورة وقصف ونار ورصاص ، وقد يستشف القارئ لهذا الديوان ويعثر على الروح ، والروح مذكر ثوري في بعض الأحيان وبدون جهد من خلال عناوين القصائد التي يشتمل عليها فعندما يقرأ مثلا :(فاشهدوا) يتبادر الى أذهاننا بأن هناك جماعة من الثوار في وسط معركة حامية الوطيس ، وأن الاستعمار لم يعترف بحقوقها ، وبالتالي فشاعرنا يدعوها الى الاستشهاد في سبيل نيل حريتها واستقلالها وكرامتها[1]

ونفس الشيء بالنسبة للعناوين التالية : (وتكلم الرصاص جل جلاله) (سنثأر للشعب) ، (فلا عز..... حتى تستقل الجزائر) ، (الدنيح الصاعد) (زنزانة العذاب رقم 73) فما مفهوم الثورة عند شاعرنا ؟ وكيف ينظر إليها ؟

[1] محفوظ كحوال، أروع قصائد مفدي زكريا،سلسلة الشعر العربي المعاصر،كوميديا للطباعة و النشر و التوزيع،2012،ص 14.13.

وبناءا على تلك النصوص الشعرية المنشورة بين الناس ، فان معظم المضامين الشعرية توزعت على محاور كبرى يمكن حصرها في بعض هذه السمات وهي كالتالي :

1/- التغني بالثورة الجزائرية وتمجيد الشهداء ، وهذا شأن عظيم ومجال شريف.

2/- التغني بما كان يطلق عليه على عهد الحزب الواحد " الثورة الزراعية ".

3/- التغني بالمكتسبات والمبادئ الاشتراكية تكريسا للخطاب السياسي الذي كان سائدا في وسائل الإعلام الجزائري.

4/- التغني بالقضايا التحريرية في العالم (قضية فلسطين – جنوب افريقيا – التمييز العنصري في أمريكا – ثورة الفيتنام ...).

5/- مضامين ذاتية (الاغتراب – الإحساس بالإهمال – الانطواء على الذات).

6/- تمجيد الفقراء والعمال والكادحين.

7/- وصف رسيس الحب ، والتغني بالجمال.

8/- نقد الوضع السياسي القائم في تلك الفترة آنذاك. [1]

ان مفهوم الثورة آنذاك عند مفدي زكريا يختلف اختلافا جذريا عن مفهوم الثورة الكلاسيكي المتعارف عليه من قبل الأوساط الاجتماعية ، فالثورة بالمفهوم القديم تعني أن جماعة من الناس دخلوا بلاد غيرهم واستعمروها ، فواجب على أهل هذه البلاد أن يقوموا بثورة ضد هؤلاء الدخلاء ، وبتعبير أدق ان الثورة بهذا المفهوم تقوم بين الطرفين ، الطرف

[1] المرجع السابق،ص 15.

الأول هـو دائمـا الاسـتعمار ، والطـرف الثـاني هـم أصـحاب الأرض او السـكان الحقيقيـون ، والثـورة عنـده لا تكـون ضـد طـرف واحـد (الاسـتعمار) بـل عـدة أطـراف فهـو يثـور علـى الاستعمار ، ويؤثر على الركود وعلى الجبان والبليد يقول :

ليس في الأرض سادة وعبيد فكيف نرضى أن نعيش عبيدا

يا سماء اصعقي الجبان ، ويا أر ض ابلعي القانع الخنوع ، البليد

فالشـاعر بعـد أن بـين الاسـتعمار في البيـت الأول ، أنـه لايمكـن ولـن يمكـن بحـال مـن الأحـوال ان يعـيش هـو وشـعبه ، تحـت نـير العبوديـة ، ووطـأة الاسـتعمار يأتي في البيـت الثـاني ، ويشـن ثـورة شـعراء عـل الانسـان الجبـان ، القـانع البليـد ، الـذي لايفكـرفي غـده ومصـيره اطلاقـا ، وصـرخة شـاعرنا في هـذا البيـت شـبيهة تمامـا بصـرخة الشـاعر " أبي القاسـم الشـابي " عنـدما قـال :

وألعن من لا يماشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر

فشـاعرنا يطلـب مـن السـماء ان تصـعق ، وتحطـم الانسـان الجبـان كمـا يطلـب مـن الأرض ان تبلـع وتلـتهم ذلـك الانسـان الـذي يقـع بأتفـه الأشـياء وأرخصـها (كـالرغيف البـارد – بعـض المـأكولات المعلبـة) ، فكمـا جـاء في قصـيدة لـه بعنـوان سـنثأر للشـعب ، والـتي أنشـدها في المهرجـان العظـيم الـذي اقامـه الـديوان السياسـي للحـزب الدسـتوري ، نـوفمبر **1960** يقول [1]

[1] المرجع السابق،ص 15

فخبرتني الدنيا نوفمبر أننا سنثأر للشعب الذي لم يزل يشقى

للبيت الذي كان أهلا فجرت به الألغام تسحقه سحقا

سنثأر للبنت التي ديس قدمها ودنس اجناس الفنا عرضها الأنقى

سنثأر للطفل الرضيع ، وقد غدا وفي فمه الرشاش ، يحسبه رزقا

وللشيخ تؤتى زوجه ، وهو موثق يراها فما يستطيع دفعا ولا نطقا

سنثأر للأكواخ ، والدور ، والقرى يهشمها (النابالم) يحرقها حرقا.

فبقليل من التأمل في هذه الابيات نجد أسباب ثورة شاعرنا جليلة واضحة للعيان ، فهو يثور ، ويثأر لشقاوة شعبه ، الذي أخرج قوة وعنفا من دياره التي سحقتها الألغام ويثأر لتلك الفتاة التي هتكوا عرضها ، وسلبوا منها عزها ، و شرفها ، ويثار لذلك الطفل البريء وذلك الشيخ المسن الذي تؤتى زوجته على مقربة منه.

لقد نجح مفدي زكريا في كتاباته أن يصور لنا وقائع الثورة الجزائرية بكل مراحلها التي مرت عليها تصويرا حيا ، كما اعتبرت أناشيده الوطنية بطاقة هوية الجزائر حيث ورد ذلك ان مفدي زكريا كان غيورا على وطنه ، فأراد ان يبعث روح الحماسة والجهاد ، وكتابة تاريخ الجزائر ، وتحرير الجزائر ، حيث قيل عنه أنه "ألهب الحماس بقصائده الوطنية التي تحث على الثورة والجهاد ، حتى لقب بشاعر الثورة الجزائرية والنشيد الوطني الجزائري والمعروف " قسما"

المطلب الثالث: **التناص مع القرآن الكريم في شعر مفدي زكريا :**

تشبع مفدي زكريا بالثقافة القرآنية ، ورضعها من بيئته الميزابية ، وترسخت فيه بفعل الترحال الى البلدان الاسلامية ، وقد تجلى ذلك في شعره حيث حفل بالعديد من الكلمات والتعابير القرآنية والقارئ لأشعاره يستحضر في كل بيت آية ، وفي كل قصيدة معاني قرآنية ، حيث انه قدم في هذه القراءة صورة عن مظاهر التناص مع القرآن الكريم في شعره ومدى تأثره الكبير بلغة القرآن الكريم.[1]

وهذا وجد الشاعر نفسه يستلهم من المنبع الصافي : القرآن الكريم والتراث العربي القديم الذي لايخلو هو الآخر بدوره من الأثر القرآني وقد لاحظنا في ذلك أن صلة الشاعر بالقرآن الكريم كانت عميقة ، حيث تركت آثارها في أكثر من جانب.

وبهذا يختلف الشعراء في التعامل مع أداة التجربة الشعرية ، فيصبح لكل شاعر ميزة يتفرد بها في تناول اللغة ، فهناك مثلا من يأخذ الألفاظ والتراكيب الجاهزة دون اجتهاد ، ومفدى زكريا ينتهج طريقة خاصة تتميز بتمسكه الشديد بالقرآن الكريم وينهل منه مفردات وتراكيب يحسن توظيفها في أشعاره لأنه يشكل ذخيرة لغوية تكونت لديه من اتصاله الوثيق بلغة القرآن ، وكلما قرأ القارئ قصائده يستحضر الكثيرمن ألفاظ القرآن الكريم.

---

[1] مفدي زكرياء اللهب المقدس،الديوان الديني ،الجزائر،منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية،ط2،1973،ص10.

من ذلك قوله:

واقض ياموت في ما أنت قاض انا راض ان عاش شعبي سعيدا

فهذا اقتباس من قوله تعالى : " قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات فالعبارة فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا[1]

وكذلك فان العبارة الواردة في اللآية الكريمة : تناص نلاحظه في الشعر الأول : " فاقض ياموت في ما انت قاض " تدل على رسوخ مبدأ القدر الديني في معتقد الشاعر وفي قوله :

لن ينكر المجد الا الحياة ولن يجحد الفضل إلا العقل[2]

فهذا اقتباس من قوله تعالى : " ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم منع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك رنيم "[3]

فقد نقل الشاعر شعوره الدال على القلق والحسرة والضيق اتجاه ناكري الخير والمعروف ، واستعمل لفظة " عتل " لتدل على الصفة التي يمكن أن تطلق هؤلاء فولدت صورة شعرية ربطت الشاعر بالمتلقي ، وفي قوله :

هو الاثم زلزل زلزالها فزلزلت الأر ض زلزالها

---

[1] سورة طه،الآية 72

[2] مفدي زكريا، إليادة الجزائر ،ص54.

[3] سورة القلم، الآية، 10.13

وحملها الناس أثقاله فأخرجت الارض اثقالها

فقال ابن آدم في حمقة يساءلها ساخرا مالها[1]

تناصت هذه الأبيات من قوله تعالى : " اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها ،يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها"[2] وأراد ان يبرز هول المصيبة والأحداث والخسائر الناجمة عنه ، فلجأ الى القرآن الكريم الذي يعطي صورة مهيلة عن حدوث الساعة وقدرة الله سبحانه وتعالى عل تغير الوضاع مما يؤدي الى الهلع والاستغراب ، وقد ربط الشاعر حدوث الزلزال بما جنت ايادي الناس من الاثم فكأنه جزاء لهؤلاء الذين عاشوا الفساد ن عندما قال : هو الاثم زلزل زلزالها ، وفي قوله :

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نوفمبر هل وفيت النصابا

وهل سمع المستجيب نداء شعب فكانت ليلة القمر جوا

تبارك ليلك الميمون نجما وجل جلاله هتك الحجابا

زكت وثباته على ألف شهر قضاها الشعب يلتحق السرابا[3]

هذه الصورة مستوحاة من قوله تعالى : " انا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر[4] "

---

[1] مفدي زكرياء،اللهب المقدس،ص273.

[2] سورة الزلزال،آية، 1،3

[3] مفدي زكريا، اللهب المقدس،ص 30

[4] سورة القدر،الآية 05.

ان الشاعر متأثر بليلة القدر العظيمة ، نجد ذلك في توظيفه لكل ألفاظ السورة القرآنية ليلة القدر – ألف شهر.....

وفي قوله ايضا :

من يكثر المال لم يسعد به وطنا يلمه فهو من الموات معدود

جودوا به ، قبل ان تكون الحياة به المال يفنى ويبقى الفضل والجود[1]

فنجد الفاظ : يكنز – المال – تكوى – الحياة ... ، تمثل مفتاح المعنى في قول الشاعر وقد حافظ على معانيها التي تدل عليها الاية الكريمة ، وهذا القول مستوحى من قوله تعالى:" **والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جبابهم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا**....." في وصف صحراء الجزائر

وتحت خيامها انحبست عيون لها " **هاروت** " قد سجد احتباسا

وتحت خيامها انحبست عيون أسالت من فم الدنيا لعابا

عشقنا عن اسمرها وسمرا فنون السحر النبر المذابا[2]

ان في الصحراء خياما قد انحبست تحت ساحرة سجد لها هاروت ملك السحر احتباسا واعترافا بها ، ويعني بذلك عيون الغيب المقصورات في الخيام وتحت الخيام ايضا تفجرت عيون منابع ، ألفتت نظر العالم اليها ، ويعني بذلك آبار البترول والغاز بصحراء

[1] المرجع نفسه،ص271.

[2] المرجع نفسه،ص 34

الجزائر ، وهذا مستوحى من قوله تعالى : " ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وما يعلمان من احد "[1]

وخلاصة الرأي في هذا التناص مع القرآن الكريم ، نجد ان الشاعر مفدي زكرياء قد استفاد استفادة عظمى من القرآن الكريم الا أننا لا نكاد نجد قصيدة واحدة لم تتأثر باللفظ القرآني ، فأثر القرآن الكريم ظاهر جدا في شعره ، والممتع جدا هو أن هذا التأثر قد كان في

[1]. سورة الحاقة، الآية 29.28 .

محله لفظا ومعنى ، ولعل حسن توظيف اللفظ القرآني قد أعطى القصيدة معنى جديد وألبسها ثوب الحقيقة وقوة التعبير وحسن التناسق ، وما نلاحظه في توظيف اللفظ القرآني انه يختلف من موضع لآخر ، ويمكن أن نميز نمطين للتعامل مع اللفظ القرآني

الفصل الثالث: البيان النبوي في شعر مفدي زكرياء

1/-التعريف بقصيدة الذبيح الصاعد

قصيدة (الذبيح الصاعد) للشاعر مفدي زكرياء قالها في غمرة بهيب الثورة الجزائرية، أي بتاريخ 18 جوان 1956، بالسجن الرهيب بربروس يصور فيها أول حكم بالإعدام عن طريق المقصلة للشهيد (أحمد زبانا) رحمه الله، فكانت شامة في جبين الشعر الثوري الجزائري بعامه.

القصيدة الثورية كانت وسيلة مهمة من وسائل التواصل، إن مع الأهالي، أو لمحاجة الاستعمار وأذنابه، ولهذا كان هذا الموضوع، والحجاج لغة كماء جاء في لسان العرب "حاجته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته" أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

فقصيدة "الذبيح الصاعد" هي أحسن مثال بين رسالة الشاعر مفدي زكريا بما نظمه شعرا لتخليد ذكر الشهيد "أحمد زبانا" البطل الذي كانت نهاية حياته بالمقصلة التي دشن بها أسلوبا جديدا، ابتركته وحشية فرسنا الغاشمة لتتخلص من الوطنيين الذين دوخوها بنضالهم، وبطولتهم التي أصبحت خطرا على وجودها في أرض الجزائر إلا أن وصف الحدث المأساوي تحول إلى رسائل غالية الدلالة الأهداف.

إن مفدي زكريا في قصيدة "الذبيح الصاعد" يقدم لنا صورة عن لحظات الفرح والسرور التي أطاحت بالمناضل أحمد زبانا، وهو يتقدم ليلقى مصيره، أي هو ذبيح شهيد

صاعد إلى حيث العلو والرفعة، لذلك فكل ما تناوله الشاعر هو رسائل موجهة محددة الأهداف.

محور القصيدة هو النظرة إلى الاستشهاد أنه إيجابي للثورة، وعامل من عوامل الرضى على النفس، أنها قائمة بواجبها، انطلاقا من المقولة: "أطلب الموت توهب لك الحياة"، إذ أن الحياة الحقيقية هي حياة الإطمئنان و راحة البال، اللذان يحصلان بعد تادية الواجب.

وقد بين الشاعر أن زبانا بطل كبير ثبت في ميدان الكفاح، وصمد في وجه العدو، ولم ينل منه أي تهديد أو تنكيل، أراده مفدي زكريا أن يكون مثالا لرفاقه المجاهدين.

فحينما اندلعت الثورة الجزائرية أذكت العواطف وهزت المشاعر والأقلام التي كانت من قبل مكبوتة وفتحت أمام الشعر آفاق ما كان يستطيع أن يعلم بها لولا الدم والنار والحديد، وقد تفجرت نتيجة لذلك عواطف الشعراء وبشعر ثوري عايش ويسجل الثورة ويبشر بالاستقلال والحرية ويتغنى بالوطن ويشارك المحزونين والمتألمين، ويضمد الجرح ويكفكف الدموع ويخلى الشهداء والأبطال والوقائع، ككل حدث وكل شهر وكل سنة تمر تمثل موضوعا لقصيدة، وتكون الأصباغ التي تكون لوحة شعرية تهز المشاعر وتحرك النفوس وبهذا داخل الشعر الجزائري في مرحلة حاسمة جديدة مرحلة الثورة والانطلاق والتعبير بالقوة والدم عن مطالب الشعب وقد عملت فرسنا ما بوسعها للقضاء على الشخصية القومية في الجزائر

قصيدة الذبيح الصاعد

قـــــام يختـــــال كالمســـــيح وئيـــــدا يتهـــــادى نشـــــوانَ، يتلـــــو النشـــــيدا

باســـــمَ الثغـــــر، كالملائـــــك، أو كالطفـــــل، يســـــتقبل الصـــــباح الجديـــــدا

شـــــامخاً أنفـــــه، جـــــلالاً وتيهـــــاً رافعـــــاً رأسَـــــه، ينـــــاجي الخلـــــودا

رافـــــلاً في خلاخـــــل، زغـــــردت تمـــــلأ مـــــن لحنهـــــا الفضـــــاء البعيـــــدا!

حالمـــــاً، كـــــالكليم، كلّمـــــه المجـــــد، فشـــــد الحبـــــال يبغـــــي الصـــــعودا

وتســـــامى، كـــــالروح، في ليلـــــة القـــــدر، ســـــلاماً، يشِـــــعُّ في الكـــــون عيـــــدا

وامتطـــــى مـــــذبح البطولـــــة معراجـــــاً، ووافى الســـــماءَ يرجـــــو المزيـــــدا

وتعـــــالى، مثـــــل المـــــؤذن، يتلـــــو... كلمـــــات الهـــــدى، ويـــــدعو الرقـــــودا

صـــــرخة، ترجـــــف العـــــوالم منهـــــا ونـــــداءٌ مضـــــى يهـــــز الوجـــــودا:

(اشـــــنقوني، فلســـــت أخشـــــى حبـــــالا واصـــــلبوني فلســـــت أخشـــــى حديـــــدا)

(وامتثـــــل ســـــافراً محيـــــاك جـــــلادي، ولا تلتـــــثم، فلســـــتُ حقـــــودا)

(واقـــــض يا مـــــوت فيّ مـــــا أنـــــت قـــــاضٍ أنا راضٍ إن عـــــاش شـــــعبي ســـــعيدا)

(أنا إن مـــــت، فـــــالجزائر تحيـــــا، حـــــرة، مســـــتقلة، لـــــن تبيـــــدا)

قولـــــةٌ ردَّد الزمـــــان صـــــداها قدُسِـــــياً، فأحســـــنَ الترديـــــدا

احفظوها، زكيةً كالمثاني وانقُلوها، للجيل، ذكراً مجيدا[1]

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس.

وأقيمـــــوا، مـــــن شـــــرعها صـــــلواتٍ، طيبـــــاتٍ، ولقنوهـــــا الوليـــــدا

زعمـــــوا قتلَـــــه...وما صـــــلبوه، لـــــيس في الخالـــــدين، عيســـــى الوحيـــــدا!

لفَّـــــه جبرئيـــــلُ تحـــــت جناحيـــــه إلى المنتهـــــى، رضـــــياً شـــــهيدا

وســـــرى في فـــــم الزمـــــان "زَبَانا"... مـــــثلاً، في فـــــم الزمـــــان شـــــرودا

يا"زبانا"، أبلـــــغ رفاقَـــــك عنـــــا في الســـــماوات، قـــــد حفِظنـــــا العهـــــودا

وارورِ عـــــن ثـــــورة الجزائـــــر، للأفـــــلاك، والكائنـــــات، ذكـــــراً مجيـــــدا

ثـــــورةٌ، لم تـــــك لبغـــــي وظلـــــم في بـــــلاد، ثارت تفُـــــكُّ القيـــــودا

ثـــــورةٌ، تمـــــلأ العـــــوالمَ رعبـــــاً وجهـــــادٌ، يـــــذرو الطغـــــاةَ حصـــــيدا

كـــــم أتينـــــا مـــــن الخـــــوارق فيهـــــا وبهـــــرنا، بالمعجـــــزات الوجـــــودا

وانـــــدفعنا مثـــــلَ الكواســـــر نـــــرتادُ المنـــــأيا، ونلتقـــــي البـــــارودا

مـــــن جبـــــالٍ رهيبـــــة، شـــــامخات، قـــــد رفعنـــــا عـــــن ذُراهـــــا البنـــــودا

وشـــــعاب، ممنَّعـــــات براهـــــا مُبـــــدعُ الكـــــون، للـــــوغى أُخـــــدودا

وجيـــــوشٍ، مضـــــت، يـــــد الله تُزْجيهـــــا، وتَحمـــــي لواءَهـــــا المعقـــــودا

مـــــن كهـــــولٍ، يقودهـــــا المـــــوت للنصـــــر، فتفتـــــكُّ نصـــــرها الموعـــــودا

وشـــــبابٍ، مثـــــل النســـــورِ، تَرامـــــى لا يبـــــالي بروحـــــه، أن يجـــــودا

وشـــــيوخٍ، محنَّكـــــين، كـــــرام مُلِّئـــــت حكمـــــةً ورأياً ســـــديدا

وصـــــبأيا مخـــــدَّراتٍ تبـــــارى كـــــاللَّبوءات، تســـــتفز الجنـــــودا

شـــــــاركتْ في الجهـــــــاد آدمَ حـــــــواهُ ومـــــــدّت معاصـــــــما و زنـــــــودا

أعمـــــــلت في الجـــــــراح، أنملَها اللّـدنَ ، و في الحـــــــرب غُصنَـــــها الأُملودا[1]

فمـــــــضى الشعـــــب، بالجمـــــاجم يبني أمـــــةً حـــــرة، وعـــــزاً وطيـــــــــدا

من دماءٍ، زَكية، صبَّها الأح رارُ في مصْرَفِ البقاء رصيـــــــــــدا

و نظامٍ تخطُّه ((ثورة التح رير)) كالوحي، مستقيماً رشيـــــــــــدا

وإذا الشعب داهمته الرزايا، هبَّ مستصرخاً، وعاف الركودا

وإذا الشعب غازلته الأماني، هام في نيْلها، يدُكُّ السدودا

دولة الظلم للزوال، إذا ما أصبح الحرّ للطَّغامِ مَسودا!

ليس في الأرض سادة وعبيد كيف نرضى بأن نعيش عبيدا؟!

أمن العدل، صاحب الدار يشقى ودخيل بها، يعيش سعيدا؟!

أمن العدل، صاحبَ الدار يَعرى، وغريبٌ يحتلُّ قصراً مشيدا؟

ويجوعُ ابنها، فيعْدمُ قوتاً وينالُ الدخيل عيشاً رغيداً؟؟

ويبيح المستعمرون حماها ويظل ابنُها، طريداً شريدا؟؟

[1] نفس المرجع .

يا ضَلال المستضعَفين، إذا هم ألفوا الذل، واستطابوا القعودا!!

ليس في الأرض، بقعة لذليل لعنته السما، فعاش طريدا...

يا سماء، اصعَقي الجبانَ، ويا أر ض ابلعي، القانع، الخنوعَ، البليدا

يا فرنسا، كفى خداعا فإنّا يا فرنسا، لقد مللنا الوعودا

صرخ الشعب منذراً، فتصا مَمْتِ، وأبديت جَفوة وصدودا

سكت الناطقون، وانطلق الرش اش، يلقي إليكِ قولاً مفيدا:

))نحن ثرنا، فلات حين رجوعٍ أو ننالَ استقلالَنا المنشودا((

يا فرنسا امطري حديداً ونارا واملئي الأرض والسماء جنودا

واضرميها عرْض البلاد شعالي لَ، فتغدو لها الضعاف وقودا

واستشيطي على العروبة غيظاً واملئي الشرق والهلال وعيدا

سوف لا يعدَمُ الهلال صلاحَ الد ين، فاستصرِخي الصليب الحقودا

واحشُري في غياهب السجن شعبا سِيمَ خسفاً، فعاد شعباً عنيدا

واجعلي "بربروس" مثوى الضحايا إن في بربروس مجداً تليدا!!

واربِطي، في خياشم الفلك الدوَّ ار حبلاً، وأوثقي منه جيدا

عطلى سنة الاله كما عط لتِ من قبلُ "هوشمينَ"[1] المريدا....

إن من يُهمل الدروس، وينسى ضرباتِ الزمان، لن يستفيدا...

نسيَت درسَها فرنسا، فلقنَّا فرنسا بالحرب، درساً جديداً!

وجعلنا لجندها "دار لقمَا نَ"[2] قبوراً، ملءَ الثرى ولحودا!

يا "زبانا" ويا رفاق "زبانا" عشتمُ كالوجود، دهراً مديدا

كل من في البلاد أضحى "زبانا" وتمنى بأن يموت "شهيدا!!"

أنتم يا رفاقُ، قربانُ شعب كنتم البعثَ فيه والتجديدا!!

فاقبلوها ابتهالةً، صنع الرش اشُ أوزانَهَا، فصارت قصيدا!!

واستريحوا، إلى جوارِ كريمٍ واطمئنوا، فإننا لن نحيدا!!

---

(1): المرجع نفسه .

(2): المرجع نفسه

مظاهر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا

إن لغة مفدي زكريا قد أصبحت بيانية وذلك من خلال توظيفه للحديث الشريف، وقد وظفه لأنه يؤثر تأثيرا سحريا في المتلقي، إذ يفجر طاقته باستخدامه، كالرمز الذي يعطيه

أبعادا جديدة، لم يكن على علم بها، والتعالق الحاصل بين قصة "موسى" وبين "زبانا" هو أن الشاعر يعمد إلى توظيف الشخصية التراثية أو الحدث التراثي لتدعيم حجته وتقويتها، ويظهر ذلك جليا في توظيف الشاعر قصة موسى عليه السلام من حيث تكليم الله ويظهر ذلك في قوله:

حالما كالكليم، كلمه المجد، فشد الجبال يبغي الصعودا

وكذلك من خلال توظيفه للتناصات القرآنية في قول الشاعر:

وتسامى كالروح في ليلة القدر سلاما يشع في الكون عيدا

وهذا البيت من القصيدة يتضمن تناصا مع سورة القدر في قوله تعالى "بسم الله الرحمان الرحيم"[1]: **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**

واقضا يا موت فيما أنت قاض أنا راض وإن عاش شعبي سعيدا

فهذا أيضا مظهر استقاه الشاعر مفدي زكريا من القرآن الكريم في قوله تعالى: **"لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا، فاقض يا موت فيما أنت قاض، إنما تقض هذه الحياة الدنيا"**[2].

وكذلك في قول الشاعر:

[1] القرآن الكريم، سورة القدر، الآية 1-2.

[2] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 09.

زعموا قتله...وما صلبوه، ليس في الخالدين عيسى الوحيدا!

وهذا القول مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى) **((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ)** [1]

لقول الشاعر :

و إمتطى مذبح البطولة معـــ ـــراجا ، و وافى السماء يرجو المزيد [6]

يا له من تصوير رائع جميل ، بطل يقدم على الموت في تحد و لكن أين الموت و أين وسيلتها المعدة ،شيئ خارق للعادة أن نعيش لحظة الموت في أبهى صورها ، فالإمتطاء هنا ، خرج عن حقيقته إلى مجازيته ، فشبهت المقصلة بمذبح البطولة ، فشتان بين الطرفين ، و لكن براعة الصورة جمعت بينهما على سبيل الكناية .

يبدو أن الشاعر مفدي زكرياء قد إقتبس هذه الصورة من سورة الإسراء ، تلك الصورة التي تحدثت عن معراج الرسول – صلى الله عليه و سلم – من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى .

قال الله تعالى :" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع العليم " [7]

---

[1] القرآن الكريم، الآية 157، من سورة النساء.

[6] مفدي زكريا، اللهب المقدس ، ص 12

[7] الآية 1 من سورة الإسراء

و لكن كيف يقع التناسق بين معراج الرسول- صلى الله عليه و سلم – و صعوده إلى السماء ، و بين معراج الشهيد زبانا إلا أنه قد عرج به إلى السماء السابعة ، و هذا شرف عظيم ،فإن زبانا هو الآخر راح يتمثل عروج النبي –ص- فوافى السماء معراجا و تساميا و إعتلاء يرجو المزيد من الشرف و المنزلة الرفيعة .

المنهج التعليمي في شعر مفدي زكرياء

توظيف لغة القرآن في شعر مفدي زكريا هو المنهج النبوي الذي اتخذه الشاعر في كتابة قصائده حتى يترك في نفس القارئ أثرا بارزا، حيث أن الإيمان القوي بالعقيدة الدينية دفعه إلى محاربة الرجيين الذين حاولوا مخادعة الشباب وإيهامه بأن في الانسلاخ من الإسلام والتحرر من مبادئه تقدما وعلوا[1].

ثم إن الثورة في نظر مفدي زكريا قد تأججت من أجل إثبات الإسلام منهجا وشريعة ونبراسا يهتدى به، فلا تقدم ولا حضارة مع الانحلال والإنحراف.

فقد آمن مفدي زكريا بأن الإسلام دين الجزائر الصامدة، والأمة العربية ككل، وشعارها الأزلي منه، تستمد قوتها ومداد أشعارها المترددة عبر الأزمنة.

ولذلك فليس غريبا في أن تتجلى ملامح الثقافة الإسلامية في شعر مفدي زكريا، حيث تضمنت قصائده عبارات قرآنية ومعاني قدسية استوحت بعض أشعاره أحاديث نبوية شريفة

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، ط5، 1992، الجزء الثالث، ص 228.

بين من خلالها أن الجزائر لن تخطو خطوة إلى الأمام ولن ترى نور الأمل إلا إذا تمسكت بتعاليم الدين الإسلامي، وأشربت نفوسها من البحارة التي لا تنضب، فالثورة يصنعها الإيمان، والإيمان يلهبه الدين والإسلام مفجر الحرية، هذه هي المعادلة التي توصل إليها الشاعر متغني بها في شعره.

لقد جسد مفدي هذه الثقافة الواسعة في قصائده التي اقرت بامتلاكه موهبة التصوير و توظيف المجاز و الرموز غير انه لا يفعل ذلك دائما في سجنياته و يمكن الإقتصار على قصيدته الذبيح الصاعد و لا سيما ما جاء في مطلعها ، اين رسم أجمل الصور و أقواها و وظف رموزا تراثية تملك طاقة اشعاعية كبرى بكثير من التكثيف .

فصورة الجزئية الواحدة تأخذ بتلابيب الأخرى في تناغم و إنسجام و دون فجوة و إنقطاع ، يربط بينهما خط شعوري واحد مما جعل الشاعر في شعر خليلي يحقق أدق مفاهيم النقد الحديث و فلسفة الصورة الحديثة في قطعة فنية تبعث على التأثر و التعاطف مع المضطهدين السياسيين الوطنيين ، و على الإخلاد إلى المتعة الفنية في آن واحد [1]

فيقول :

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوانَ، يتلو النشيدا

باسمَ الثغر، كالملائك، أو كالطفل، يستقبل الصباح الجديدا

[1] يحي الشيخ صالح ،ادب السجون و المنافي في الجزائر في فترة احتلال الفرنسي(1962-1830)مخطوط رسالة دكتوراه جامعة الجزائر.1993 .ص258

شامخاً أنفه، جلالاً وتيهاً رافعاً رأسَه، يناجي الخلودا

رافلاً في خلاخل، زغردت تملأ من لحنها الفضاء البعيدا!

حالماً، كالكليم، كلّمه المجد، فشد الحبال يبغي الصعودا

وتسامى، كالروح، في ليلة القدر، سلاماً، يشِعُّ في الكون عيدا

وامتطى مذبح البطولة معراجاً، ووافى السماءَ يرجو المزيدا[1]

هكذا يصبح الليل هذا الزمن السرمدي ، يحيا في كل المواقف و تحيا فيه كل المواقف ، ليل يسدل ستائره على المؤمنين بعقيدة واحدة لا تتبدل و لا تتغير ، تدفع الليل بحثا عن اشراقة دائمة ،وما زبانا إلا واحد من هؤلاء المؤمنين .

رسمت له الصورة منظرا و اتبعته في سيره حتى المقصلة ، تابعته و هو يختال كالمسيح و على شفتيه تمتمة النشيد الوطني ،لأنه يعرف جيدا نهاية رحلة حياته و مطمئن إلى مصيره و ما يلقى في سبيله من العنت و العذاب ، و هو مستهين بكل ذلك في سبيل رسالته ، و ان من حوله ممن حاول صلبه و قتله لا يفقه من ذلك شيئا ، و على ثغره ترتسم ابتسامة الملاك أو الطفل و هو يستقبل الصباح الجديد [2]

[1] مفدي زكرياء، اللهب المقدس ، ص9 -10

[2] يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكرياء ،ط1، دار البعث قسنطينة ،19987 ،ص 320

انه شامخ انف جلالا وتيها ،لأنه يدرك جيدا قيمة موته و حقارة جلاديه و يرفع رأسه نحو السماء لينا جي فيها الخلود الذي ينتظره ليضمه اليه بعد لحظات ، و إن اغلال في رجليه ليست حديدا يصدر صوتا تنفر منه الآذان ،بل هي خلاخل اطلقت زغاريد ملأت الحانها هذا الفضاء المتجهم .

و يبدو حالما كالكليم الذي يتلقى صوت الله ، فينقله ذلك الصوت إلى عوالم من التفكير و الإغراق تذهله عما حوله ،كيف لا و قد كلمه المجد من السماء ، غير انه لم يكثف بالمكالمة و انما طفق يشد الحبال ، المقصلة استعجالا منه للصعود غلى المجد و معانقته و انه في ذلك يشبه الملاك جبريل عليه السلام ، و هو يرجع الى السماء في ليلية القدر بعد أن نشر في الأرض السلام ، و أشاع في الكون فرحا و ابتهاجا[1]

راح مفدي يجمع هذا الزمن التقني الموضوعي ليكون دائرة كبرى تتواصل فيها كل الدوائر الأخرى ، دوائر الفداء و الإبتلاء لأكرم الناس ممن حملوا تاريخ امهم أو حملوا رسالات السماء أو براءة الحياة و فطرة الإنتماء بكل صفائها و نقائها و روحانيتها و سماحة المثل الأعلى لإنه كان في محراب الإيمان ، و كان التاريخ مرآة يقتبس منها ما يشاء من الصور التي كانت في هذا الزمن الكوني أو حدثت فيه .

ولأن زبانا كان يعانق حياة أخرى ، و كان اقرب ما يكون بين الكافي و النون ، فكان ذلك الهمس و كانت تلك السكينة ،وكان الحلم الهادئ الواصل بين السماء و

[1] المرجع نفسه ،ص 321.

الارض ، و لأن الرجل كان بين يدي خالقه ، كانت صور الإنسان المظلوم المقهور تحت ايدي جلاديه اقوى من هذا الجلاد الملثم الخائف ، صور جعلت مفدي انساني الرؤيا ،انساني المبدأ ،فكان كل شيئ يعلو ولا يتسافل ، لأن الحق يعلو و لا يعلى عليه[1] .

حضور البلاغة في شعر مفدي زكريا

قام يختال كالمسيح رئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا[2]

هنا تصوير لمنظر رهيب، رجل يقيم في خيلاء، متجها نحو مصير محتوم وأي مصير، إنه الإعدام

باسم الثغر كالملائك أو كالط فل يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفسه جلالا وقيها رافعا رأسه يناجي الخلودا

رافلا في خلاخل زغردت تم لأ من لحنها الفضاء البعيدا[3]!

هنا تكرار اسم الفاعل، فتكرار هذ الأخير يبين التجربة التي كان فيها الشهيد أحمد زبانا، فهي لحظة يشعر وكأن كل لحظات السعادة الجميلة قد حيزت له، كيف لا وهو يمتطي سلم المجد والخلود، ولا شك أن هذا التكرار يعمق دلالة الاستمرارية (باسم-شامخا-رافعا-رافلا...)

[1] محمد زغينة: تأملات في سجنيات مفدي زكريا ، مجلة الحياة ، 2000 ،ع6،ص231-232

[2] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 09.

[3] أبو هلال العسكري، الكتبة والشعر، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ص 57.

فكل صفة يحملها كل اسم من أسماء الفاعل، تعني قوة القلب، واليقين بالغد الأفضل، وهي معان لا تفارق كل معاني الهزم بالخصم وفي قوله:

باسم الثغر كالملائك، أو كالط فل يستقبل الصباح الجديدا

هنا تشبيه، ومن المسيح عرج على الملائكة، لأنها مخلوقات طاهرة خلقت أصلا لعبادة الله.

فهي متنزهة عن الحقيقة والمعصية، فالشبه القائم بينها وبين الشهيد فهي خالدة مخلدة في الجنة، كذلك الشهداء، فهنا ترغيب ضمني لأنه يشري الإنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله.

أو كالطفل...فهو رمز البراءة والمستقبل والطهر والعفان، فالأمل قائم عند الأطفال، لأنهم يحلمون دائما بغد أفضل.

حالما كالكليم كلمه المجـ ـد فشد الحبال يبغي الصعودا[1]

إذا فهو هنا يتنقل بنا من خلال الصورة إلى أجواء أخرى، على عهد عليم الله موسى عليه السلام، إنها أجواء ربانية، حيث الطهر وقوة الإيمان و ابتلاء الله، ولكن الفارق البديع بينهما أن موسى عليه السلام كلمه الله تعالى فكان ذلك الشرف وذلك الشريف، والشهيد هنا كلمه المجد، وهذا هو الشبه يهني أن العلاقة بينهما هي علاقة تكاملية.

[1] نفسه المرجع السابق، ص 10.

فالاستعارة في كلمة (المجد) التكليم صفة من صفات البشر دون غيرهم من الكائنات الحية، فاستدعى هذه الصفة من الإنسان ومنحها المجد على سبيل الاستعارة المكنية.

وها هو الآن أصبح كالكليم "موسى عليه السلام" في حركة الصعود، لأنه كان يستشرق لحظة صعوده جبل الطور الذي كلن يحن إليه، أما زبانا فأراد المجد أن يصل إليه، إذا شد حبل المشنقة، وصعد لتحقيق هدفه، ففي موته قد يتحقق هذا الموت.

واقض يا موت فيما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيدا

نعيش من خلال الصورة الجديدة مشهدا من مشاهد المحاكمة الجائرة بين الحق والباطل، فالقاضي هو الموت، والجاني هو الشهيد حيث نجد أن المشبه هو الموت، والمشبه به الحاكم الجا\ئر، فحذف المشبه به وأبقى على ما يحيل عليه أنها استعارة مكنية.

اشنقوني فسلت أخشى حبالا واصلبوني فلست أخشى حديدا

هنا تصوير لتحدي الشهيد زبانا لزبانية العذاب ليلة إعدامه من خلال صمودهم، والرضا بالشهادة في سبيل أن يعيش شعبا حرا مستقلا، حيث يشير ضمنيا إلى قصة السحرة مع فرعون الذين آمنوا بربهم.

يقول الشاعر :

واقضي يا موت في ما انت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيدا [1]

نعيش من خلال الصورة الجديدة مشهدا من مشاهد المحاكمة الجائرة بين الحق و الباطل ، فالقاضي هو الموت و الجاني هو الشهيد ، و من البديع أن المحاكم راض كل الرضى بهذه المحاكمة فقليل من ينال هذا الشرف ، و يحاكم في مثل هذه المحاكم ، إنها المحاكم التي ينال بها الفوز بالجنة ، فإذا ما عدنا إلى طرفي الحكم نجد أن المشبه هو الموت ، و أن المشبه به الحاكم جائر ، فحذف المشبه به و أبقى على ما يحيل عليه ، على أنها إستعارة مكنية .

يستقبل الصباح الجديدا [2]، مقوم الصباح هنا ، وظف توظيفا جماليا ، فكل ليل إلا و يعقبه صباح فليل مسكوت عنه في النص ، و الذي ذكر هو الصباح فأي صباح من صباحات ؟ ليس هو ذاك الذي تعودناه يوميا ، و إنما هو شاكلة أخرى ، من طبع آخر ، إنه الحلم الذي ظل يراودنا ، إنه الأمل الذي يقينا نرقبه ، إنه استقلال ، إنه الكشف عن وجه آخر للحياة ، استمتع به غيرنا ، و حرمنا نحن خبره ، فطال انتظارنا ، و لكن ها هو قد تحقق ، فما أجمل هذا الصباح! وما أوفر حظا من عاشها!

اشنقوني ،فلست اخشى حبالا و اصلبوني لست اخشى حديدا

و امتثل سافرا محياك جلا ـدي ، ولا تلتثم ،فلست حقودا

[1] نفس المرجع ،ص 11

[2] مرجع سابق ص9

واقض يا موت فيما انت قاض أنا راض ،عن عاش شعبي سعيدا

أنا ان مت ،فالجزائر تحيا حرة ، مستقلة ، لن تبيدا [1]

هكذا صور مفدي (احمد زبانا) وهو يتقدم نحو المقصلة حتى انتهى اليها يتمثل الحق الذي يخرج من ظلمات السجن ،و صورة الفجر الذي يتنفس كل ليل لأن الشدائد محك الرجال ،وهذه الصورة الكبيرة تركيبة لصور جزئية عديدة تآزرت لتكون صورة واحدة متناسقة الظلال ،موحية الألفاظ لم تقتصر على رسم الملامح فحسب ،وانما امتلكت اشعاعا اضاء جوانب الصورة و عمق ابعادها الكثيرة.

فتشبيه بالمسيح مثلا يرمز من الجانب الخارجي الى عملية الاضطهاد و محاولة الصلب بكل ما فيها من وحشية و قسوة و من الجانب الداخلي يرمز إلى اللامبالاة ،بل و السعادة التي تغمر قلب الشهيد ، لأن المسيح عندما اضطهد و سير به نحو الصلب كان يسير سيرة الآمن المطمئن ولم تكن ترتسم على وجهه إلا علامات الغبطة و الرضا .

تكرار صيغ التفضيل

شاركت في الجهاد آدم حوا ء مدت معاصها ونوط

أعملت في الجراح أنملها المد وفي الحرب غصنها الأملود

فنهض الشهب بالجماجيم يبني أمة حرة وعزا وطيدا

[1] نفس المرجع ص 13

من دماء، زكية صبها الأحرا ر في مصرف البقاء رصيدا

يبدوا أن صيغ المبالغة كما اسم الفاعل، تؤدي مهمة نقودية المعنى وترسيخه، فالشاعر والشهيد ادلي خصمه بهذه القصيدة، كلاهما ينتمي لهذا الشعب العظيم، صاحب (العز الوطيد–البقاء الرصيد– الوحي الرشيد)

هذه الأخيرة من جعل دولة النظام تنحدر

دولة الظلم للزوال، إذا ما أصبح الحر للطعام مسودا

والمقصود من كل ذلك حتما الاحتجاج على صلابة عود هذا الشعب، وهي ألفاظ تحمل معنى الحجاج بالفخر، كما هو واضح (وطيد–رصيد–رشيد).

كما نجد الحجاج بذكر صفات المخالف في شكل غرض الهجاء في سياق استفهام استنكاري.

قال الشاعر :

و احشري في غياهب السجن شعبا سيم خسفا ،فعاد شعبا عنيدا[1]

هنا تصوير لحالة المعاناة التي يرزح فيها الشعب الجزائري ، من خلال الحصار و الملاحقة من طرف الاستعمار ،و نجد الشاعر يشير إشارة خفية إلى يوسف عليه السلام ، الذي القي في غياهب السجن و رحنا على هذا الأساس ، نجد التشاكل بين صورة (النبي

يوسف) في صموده و تحديه لقوى الظلم و الطغيان و صورة الشعب الجزائري في صموده و تحديه للاستعمار الغاشم ، حيث يأخذ البيت الترسيمة التالية :

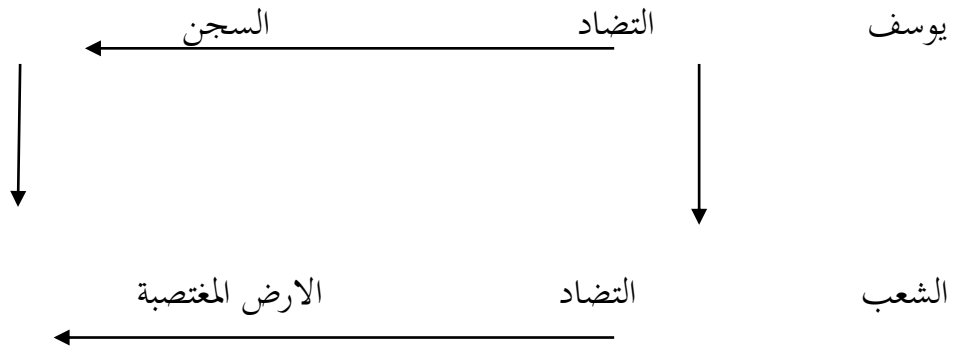

"اشنقوني ،فلست اخشى حبالا و اصلبوني، فلست اخشى حديدا

و اقض يا موت في ما انت قاض انا راض، إن عاش شعبي سعيدا[1]

هنا تصوير لتحدي الشهيد (زبانا) لزبانية العذاب ليلة اعدامه من خلال صموده و الرضا بالشهادة في سبيل ان يعيش شعبه حرا مستقلا ، حيث يشير ضمنيا الى قصة السحرة مع فرعون اولئك السحرة الذين آمنوا بربهم .

قال تعالى **:"لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات و الذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا"** [2]

[1] مفدي زكرياء، اللهب المقدس.

[2] الاية 72 من سورة طه

و يبدو التشاكل بين صورة " السحرة " في تحديهم لفرعون و رفضهم الانصياع لأوامره ، و صورة " الشهيد زبانا " في تحديه لقوى الشر و الطغيان و رفضه الكشف عن اسرار الثورة و الثوار.

حيث يأخذ الترسيمة التالية :

سوف لا يعدم الهلال صلاح الدين ، فاستصرخي الصليب الحقودا [1]أما في هذا البيت ،فيصور لنا الشاعر بطولة الشعب الجزائري في مقاومته للإستعمار الفرنسي ، و رفضه بقاء القوات الفرنسية ، فالإشارة هنا إلى احد رموز التاريخ الإسلامي (صلاح الدين الأيوبي).

و يبدو التشاكل في صورة "الشعب الجزائري" في مقاومته للقوات الفرنسية ، و صورة "صلاح الدين الأيوبي " في مقاومته للقوات الإفرنجية .

[1] مصدر سابق ،ص18.

عطلي سنة لإله كما عطـــــ ـــلت من قبل "هوشمين"[1] المريدا [2]

فالشاعر في هذا البيت ، يحلق في سماء الجزائر لينقل لنا قوة الشعب الجزائري في ثورته بقيادة (جبهة التحرير) في محاولتها للخلاص من الغزاة ، و هنا يشير إلى قوة الثورة الفيتنامية بقيادة" هوشي مينه" الذي تمكن من دحر القوات الفرنسية في معركة "ديان بيان فو" الشهيرة .

[1] هوشي منه " زعيم الهند الصينية الذي حرر وطنه من القوات الفرنسية

[2] مرجع سابق ص 19

خاتمة

وفي الختام، الكمال لله فإن وفقنا فمن الله، وإن أخطأنا فمنا، ونأتي أخيرا على ذكر أهم ما استخلصناه من نتائج في بحثنا هذا، وعلى رأسها:

تأثر الشاعر مفدي زكريا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهذا ما ميز شعره عن باقي شعراء الجزائر، وكذلك تنوع قضايا الشعر الثوري، فمرة نجد الشاعر يحث أبناء الشعب المضطهد على الجهاد ومرة أخرى يمجد كل المجاهدين، ويثني على انتصاراتهم المتكررة، ويخلي الشهداء والمليون ونصف مليون شهيد، وتارة يصف معاناة شعب تألم طوال تواجد هذا الدخيل كما تغنى بالحرية والاستقلال.

ومنه قد تناولنا قصيدة الذبيح الصاعد كأنموذج تطبيقي، ولدت عام 1955 في سجن بربروس، كما تميزت هذه القصيدة بجلال موضوعها وهو رثاء الشهيد وسمو معانيها، جمال صياغتها، وقوة الشعور جسد بداخلها.

يعد ديوان "اللهب المقدس" أهم وأشهر دواوين مفدي زكريا، نظم من خلالها قصائد وأناشيد متصلة كل الاتصال بمدى تأثره بالقرآن الكريم، ونبرة الاقتباس طاغية في جل أبياته.

وهذا ما جعله يحظى بمكانة خاصة في الشعر الجزائري الحديث.

ونظرا لأسلوبه الراقي في التعبير، أقبل عليه العامة الجزائريون حفظا ودراسة، كما ترجمت بعض قصائده إلى اللغة الفرنسية.

كما أن الشعر قد لعب دورا كبيرا في خدمة الثورة الجزائرية، فنجد بعض الشعراء الذين لم يتحملوا السلام، فحملوا علمهم وجعلوه الرسالة الصادقة لأبناء أمتهم العربية فحين تتفحص قصيدة من قصائد الثورة فكأننا نعيش الواقع آنذاك، وبما أن الشاعر مفدي زكريا قد كانت لديه القوة وصدق العاطفة، فإن تأثره بالقرآن الكريم و السنة النبوية هو أكبر دليل على ذلك، وهذا ما لوحظ من خلال دراستنا لقصيدة "الذبيح الصاعد".

وهكذا نأتي على نهاية هذا البحث المتواضع، وتمثل ذلك في قول الشاعر: لكل شيء إذا ما تم نقصان.

ونتمنى أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة وأن نكون نقطة انطلاق لا نقطة نهاية.

القرآن الكريم

المصادر

1. محمد العيد آل خليفة،المعجم الشعري عند شعراء الثورة الجزائرية،دراسة معجمية دلالية.

2. إبراهيم رماني،أوراق في النقد الأدبي،دار الشهاب للطباعة و النشر،باتنة، الجزائر،ط 1،1985

3. إبن منظور، لسان العرب ، دار بيروت ، ط5،ج 3،1992.

4. أبوهلال العسكري، الكتابة و الشعر، دار الفكر العربي،ط2.

5. بشير بلاح،تاريخ الجزائر المعاصر(1989-1830)،دار المعرفة.

6. بلقاسم بن عبدالله،مفدي زكريا شاعر الثورة المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1990.

7. التواتي بومهلة،نماذج من الثورة في النص الشعري،دار المعرفة الجزائر،2012.

8. سارة حسين الجابري، أعذب قصائد مفدي زكريا،نشر و توزيع إصدارات العوادي،2014.

9. عبدالله الركيبي ، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع.

10. عبدالمالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين،دار هومة للطباعة و النشر،الجزائر،2006.

11. عزالدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر،قضاياه و ظواهره الفنية،دار العوردة بيروت،ط 3، 1981.

المراجع:

12. مفدي زكريا ،شاعر مجد الثورة،حوارات و ذكريات بلقاسم بن عبدالله،ط2،الجزائر،2003.

13. مفدي زكريا،شاعر النضال و الثورة(دراسة و نصوص)،جمعية التراث غرداية،الجزائر،ط2.

14. مفدي زكرياء،تحت ظلال الزيتون،ط1.

15. مفذي زكريا ، اللهب المقدس، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية،الجزائر،ط1973،2.

16. يحي الطاهر ، تأملات في إلياذة الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتابة،الجزائر،ط1989،1.

17. هوشي منه " زعيم الهند الصينية الذي حرر وطنه من القوات الفرنسية

18. محمد زغينة: تأملات في سجنيات مفدي زكريا ، مجلة الحياة ، 2000 ، ع6.

19. يحي الشيخ صالح ،ادب السجون و المنافي في الجزائر في فترة احتلال الفرنسي(1830-1962)مخطوط رسالة دكتوراه جامعة الجزائر.1993 .

20. يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكرياء ،ط1، دار البعث قسنطينة ،19987 .

فهرس المحتويات

الموضوع:	الصفحة
بسملة	
شكر	
إهداء	
مدخل: شعراء الجزائر الحديث	أ
الفصل الأول: الشاعر مفدي زكريا	08
مولده و نشأته	09
وفاته	11
تعلمه	13
روافد ثقافة مفدي زكريا	14
الفصل الثاني: سمات شعر مفدي زكريا	19
خصائص شعر مفدي زكريا	20
شعر مفدي زكريا الثوري	21
التناص مع القرآن الكريم في شعر مفدي زكريا	25
الفصل الثالث: البيان النبوي في شعر مفدي زكريا	31
التعريف بقصيدة الذبيح	32
مظاهر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا	38
المنهج التعليمي النبوي في شعر مفدي زكريا	41
حضور البلاغة في شعر مفدي زكريا	45
خاتمة	54
قائمة المصادر و المراجع	57
الفهرس	60